وما دامت عملية عزل اليهود داخل جدران الجيتو قائمة في فلسطين فان هذا يعني استمرار قيام المستوطنين اليهود داخل هذا الجيتو بدور اداة العدوان الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني وكافة الشعوب العربية الاخرى، كما يعني كذلك استمرار خضوعهم للسيطرة الصهيونية وخدمة اهدافها التوسعية . اذا فالعدوان ليس وليد مرحلة معينة من مراحل تطور الدولة الصهيونية في فلسطين ولا هو نتيجة خطأ في سياسة الدوائر الحاكمة فيها كما يعتقد البعض ، بل أن العدوان ينبع من طبيعة تركيب هذه الدولة . فجذور هذا العدوان قد نبتت مع بدء تنفيذ البرنامج الصهيوني لاقامة الجيتو اليهودي في فلسطين الذي اتخذ شكل استعمار استيطاني على حساب الشعب العربي الفلسطيني . ولم يكن الاعلان الصهيوني عن تأسيس دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ سوى انجاز للقسم الاول من هذا البرنامج .

ولا يغير من هذه الحقيقة كون آلة الدعاية الصهيونية قد دفعت الى الاسواق بمئات الكتب السياسية والاف المقالات الصحفية لاقناع الرأي العام العالمي بان ما جرى في فلسطين عام ١٩٤٨ لم يكن سوى حرب استقلال ضد بريطانيا وللانفصال عنها . ولكن من سوء حظ الصهيونية ان الرأي العام العالمي التقدمي قد أصبح يملك اليوم رصيدا من التجارب والخبرات باساليب الاستعمار قديمة وجديدة ما يمكنه من كشف اكاذيب الامبرياليين العنصريين في جنوب افريقيا وروديسيا وفلسطين وخاصة نمط استقلالهم المزعوم الذي هو في الحقيقة سجن كبير يتم فيه اضطهاد سكان البلاد الاصليين من افريقيين وفلسطينيين .

لقد عبر الكاتب السوفياتي يوري ايفانوف عن رفضه الضمني للرأي الذي يعتبر بدء العدوان الصهيوني في الحرب التوسعية الثالثة التي شنتها الدولة الصهيونية في حزيران عام ١٩٦٧ عندما قال : « ان حرب الايام الستة ليست اول وقد تكون ليست آخر مغامرة للصهيونية العالمية اذ أن افاق مطامعها ومخططاتها لا تقف عند حدود منطقة قناة السويس »(١٦) .

واذا ما أريد فعلا العثور على حل جذري لمسألة العدوان الصهيوني فلا بد من التفتيش عليه في عملية خلق الدولة الصهيونية نفسها والتي تمثل عدوانا مزدوجا . فهي من جهة اولى قد اقيمت على حساب حرية الشعب الفلسطيني وحرمانه ليس من حق تقرير مصيره السياسي وحسب بل ومن حقه الطبيعي في العيش على أرض وطنه . ومن جهة ثانية فقد ارتكزت الدولة الصهيونية على أساس عزل اليهود في جيتو مغلق واخضاعهم لسيطرة الحركة الصهيونية التي سخرتهم للقيام بدور الأداة في اضطهاد الشعب الفلسطيني والشعوب العربية الاخرى حيث انطبقت عليهم الموضوعية الماركسية الشهيرة القائلة ان الشعب الذي يضطهد شعبا اخر لا يمكن ان يكون حرا . لهذا فان اي حل لمسألة العدوان الصهيوني يتجاهل هذه الحقائق الموضوعية سيبقى حلما طوباويا بعيد المنال لانه لا ينطلق من أرض الواقع بل يقفز من فوق تناقضاته .

ان الحل الجذري يتمثل في تجريد الصهيونية من سلاحها الرهيب الذي تمتلكه وتهدد به حرية الشعوب والسلم والامن ليس في منطقة الشرق الاوسط وحسب بل وفي العالم. ان هذا السلاح يتجسد في عزل اليهود ضمن جدار الجيتو الجغرافي في فلسطين والذي يتوسع باستمرار طبقا لبرنامج محدد يعكس مصلحة الصهيونية والامبريالية العالمية وخاصة الامريكية في الربح وكبت حرية الشعوب .

ان القوى التقدمية في العالم التي ترى في اللينينية « ماركسية عهد الامبريالية » لن تقع تحت تأثير الانشاءات الفكرية والحجج اللامنطقية المصاغة لتبرير حل المسألة اليهودية عن طريق خلق الحقائق الاستعمارية الاستيطانية في فلسطين . وستبقى هذه